تلاقح لغوي بين الطبقات البريطانية

لماذا أصبح صوت المرأة أكثر عمقاً وأخفّ نبرة ؟

استعانت رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت ثاتشر بخبيرٍ خاصٍ في شؤون التدريب الصوتي، لمساعدتها على خفض صوتها في مسعى لإسباغ قدرٍ أكبر من السلطة والنفوذ على شخصيتها

لندن - ديفيد روبسون

لا تتحدث السطور المقبلة عن مغنين أو موسيقيين مثل المغني والموسيقي وكاتب الأغنيات الأمريكي، باري وايت، لكنها تتناول ما خَلَصتْ إليه بعض الدراسات، من نتائج كشفت النقاب عن الكيفية التي تتحول بها الأصوات النسائية في بعض دول العالم لتصبح أكثر عمقاً.

إذا استمعت لبرامج إذاعية تعود لعقديْ الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، ستلاحظ بعض الاختلافات المدهشة بين الطريقة التي كان يتحدث بها الناس آنذاك، وتلك التي نعبر بواسطتها عن أنفسنا في الوقت الحاضر.

ويتمثل التغيير الأبرز الذي يمكن للأذن رصده في هذا الشأن؛ في اللهجات التي يتم التحدث بها. فاللغات ليست كيانات جامدةً، وإنما ديناميكية ومُفعمة بالحيوية؛ تتفاعل مع ما حولها وتتطور لتلائم الصيحات التي تسود كل عصرٍ من العصور، وهو ما يسفر عن حدوث تبدلاتٍ وتحولاتٍ في طريقة نطق الألفاظ والحروف.

إذا أخذنا المملكة المتحدة كمثال، سنجد أن ثمة تراجعاً في الوقت الحالي، في عدد من يتحدثون اللغة الإنكليزية باللكنة البريطانية الكلاسيكية، تلك التي تتحدث بها الطبقة العليا في البلاد، والتي يصفها البعض بالإنجليزية الراقية التي تعلمها أصحابها في جنوب إنجلترا.

حتى صوت الملكة إليزابيث الثانية لم تعد تتبدى فيه الحروف المتحركة في اللغة الإنجليزية، بالقدر الكبير نفسه من الصفاء والقوة والوضوح، الذي كان عليه خلال شبابها. ويُعتقد أن ذلك يعكس تغييراً شاملاً ذا طبيعة أكثر عمومية، شهدته التراتبيات الهرمية في المجتمع البريطاني، ما أحدث ضرباً من التلاقح اللغوي بين الطبقات، وصل حتى إلى صاحبة الجلالة.

لكن ما إن تتجاوز مسألة التغير في اللهجات هذه، فستجد نفسك بصدد تحولٍ اجتماعيٍ آخر يعكس نفسه في أصواتنا، ويُتمثل في كون النسوة يتحدثن في الوقت الراهن بطبقة صوت أكثر عمقاً من تلك التي استخدمتها أمهاتهن أو جداتهن، وذلك بفعل تبدل وتغير الآليات التي تحكم علاقات القوة والسلطة بين الرجال والنساء.

دراسة اصوات

وقد عكفت الباحثة سيسليا بمبرتون من جامعة "جنوب استراليا" على دراسة أصوات مجموعتين من النسوة الاستراليات تتراوح أعمارهن ما بين 18و 25عاماً.

وفي هذا الإطار، قارن الباحثون بين تسجيلات أرشيفية أُعْدتْ في عام 1945 لنسوةٍ عشنَ في تلك الفترة، وأخرى أحدث عهداً سُجِلَتْ في أوائل تسعينيات القرن الماضي.

ووجد الفريق البحثي أن ما يُعرف بـ"التردد الأساسي"، هوى بواقع 23هرتز خلال خمسة عقود، مما متوسطه 229هرتز إلى 206 هرتز. ويشكل ذلك فارقاً كبيراً، يمكن للأذن تمييزه بوضوح.

وحرص الباحثون على اختيار أفراد العينة بعناية، للتحكم في أي عوامل ديموغرافية محتملة قد تؤثر على نتائج الدراسة. فقد كانت النسوة جميعاً طالباتٍ في الجامعة، ومن غير المدخنات.

كما وضع الفريق البحثي في الاعتبار حقيقة أن بعضاً من أفراد العينة الأحدث عهداً، ممن سُجِلَتْ أصواتهن في تسعينيات القرن العشرين، يتناولن حبوب منع الحمل، وهو ما يمكن أن يكون قد أدى إلى حدوث تغييرات هرمونية، ربما نجم عنها بدورها تغيرٌ وتبدلٌ في طبيعة الحبال الصوتية. لكن استبعاد النسوة اللواتي يستخدمن هذه الحبوب من العينة البحثية، لم يؤثر على النتائج التي أشارت إلى حدوث انخفاضٍ كبيرٍ في مستوى طبقة صوت المبحوثات.

وتكهن الباحثون بأن هذا التحول في مستوى الصوت، يعكس ارتقاء النساء للاضطلاع بأدوار مرموقة بشكلٍ أكبر في المجتمع، ما يحدو بهن إلى تبني طبقة صوتية أعمق، لإبراز سيطرتهن وهيمنتهن في أماكن العمل.

وسبق أن وظّفت رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت ثاتشر خبيراً مهنياً متخصصاً في التدريب الصوتي، لمساعدتها على جعل تصريحاتها وخطاباتها ذات طابعٍ آمرٍ على نحوٍ أكبر، وهو ما تضمن خفضَ حدةِ صوتها – بشكل متعمد – بقدرٍ هائل يصل إلى 60هرتز.

ورغمَ أن غالبيتنا ربما لن يمضوا إلى هذا الحد البعيد في تغيير طبقة الصوت أو مستوى حدته، فإن دراسة أُجريت حديثاً تُظهر أننا نُعَدِّل – تلقائياً – هذه الطبقة أو ذلك المستوى للتعبير عن المكانة الاجتماعية التي نفترض أننا ننتمي إليها.

وفي إحدى التجارب، طلبت الباحثة "جوي تشينغ" من جامعة إيلينوي بمنطقة أربانا – تشامباين في الولايات المتحدة من مجموعات، يتراوح عدد كل منها مما بين أربعة وسبعة أشخاص، الاضطلاع بعملية اتخاذ قرارٍ غير تقليدية، تتضمن تصنيف المستلزمات التي سيحتاجها أي رائد فضاء للنجاة بنفسه من كارثةٍ تحدث على سطح القمر.

التحكم بالطبقة

وفي نهاية التجربة، طلبت الباحثة كذلك من كل من أفراد العينة، أن يعبر عن رؤيته (سراً وبشكلٍ شخصيٍ) بشأن ترتيب أعضاء المجموعة التي ينتمي إليها من حيث الأهمية، وأن يحدد مدى الهيمنة والسيطرة التي يحظى بها كلٌ من هؤلاء الأعضاء.

ونظراً لأنها سجلت النقاشات التي دارت بين أعضاء هذه المجموعات خلال اضطلاعهم بالمهمة الأساسية التي أُوكلتْ إليهم، وجدت الباحثة أن غالبية هؤلاء الأشخاص سارعوا بتغيير طبقة أصواتهم ومستوى حدتها، خلال الدقائق الأولى من النقاش مع الآخرين، وهي تغييرات أنبأت بالتصنيف الذي مُنح لهم لاحقاً بين أفراد مجموعتهم.فقد أشارت النتائج إلى أن من قاموا بخفض طبقة أصواتهم وحدتها – رجالاً كانوا أم نساءً – صُنفوا في نهاية المطاف على أنهم ذوو مكانة اجتماعية أعلى. كما اعتُبِرَ أنهم أكثر هيمنةً وسيطرةً على مجموعتهم. في المقابل، فإن من رفعوا طبقة أصواتهم، نُظر إليهم على أنهم أكثر انقياداً وإذعاناً، وأقل من حيث المكانة الاجتماعية.وتقول تشينغ في هذا الصدد:

"كان بوسعك – بناءً على (تقييمك) لهذه اللحظات الأولى فحسب – التنبؤ بما حدث للمجموعة، فيما يتعلق بترتيب أهمية أفرادها".

ويُمثل تغيير مستوى الصوت وطبقته – كما تقول تشينغ – أسلوباً شائعاً في الطبيعة، في ضوء أن العديد من الحيوانات المنتمية إلى رتبة الرئيسيات – بدءاً من قردة المكاك الريسوسي وصولاً إلى قردة الشمبانزي؛ أقرب الكائنات الحية لنا من الوجهة الإحيائية – تُخفض طبقات أصواتها خلال الشجار والمشاحنات.

وتقول الباحثة إن هذا السلوك من جانب حيوانٍ ما يشكل إشارةً منه إلى الحيوانات الأخرى، تفيد بأنه "مستعدٌ للقتال وحماية موارده، لتأكيد مكانته".المفارقة أن المفاهيم نفسها انطبقت بوضوح على بني البشر ممن خفضوا أصواتهم بدورهم. فحسبما تقول تشينغ: "صُنِّفَ هؤلاء من قبل الآخرين، على أنهم ذوو نزعة استبدادية أكبر، وأنهم كذلك أكثر استعداداً لفرض إرادتهم" على من حولهم.

ومضت الباحثة بالقول: "وكدلالة على ذلك، كان هؤلاء الأشخاص قادرين على استقطاب مزيد من التأثير واتخاذ القرارات بالنيابة عن المجموعة" التي ينتمون إليها.

نتائج ونقاشات

وبكل تأكيد، تتسق الاستخلاصات التي وصلت إليها تشينغ، مع فرضية بمبرتون بأن تحقيق المساواة بشكلٍ أكبر بين الجنسين، يفسر التغير الذي طرأ – خلال عقود طويلة – على أصوات أولئك النسوة الاسترَاليات اللواتي خضعن للدراسة، وهو نمطٌ يتم تسجيله ورصده حالياً في السويد والولايات المتحدة وكندا.

وهكذا، يبدو أن النسوة تُعدِّلنَ أصواتهن – بوعيٍ أو غير وعي – لتتلاءم وتتناسب مع الفرص المتاحة لهن في الوقت الراهن.

ومن المثير للاهتمام كذلك، أن التأثير الذي يلحق بطبقة الصوت بفعل إحساس المرء بأنه يحظى بالهيمنة والسيطرة، يمكن رصده أيضاً وتمييزه، إذا ما قارنت الطبقات الصوتية التي تتحدث بها نسوةٌ من دولٍ مختلفة.

فعلى سبيل المثال، تتحدث النسوة الهولنديات باستمرارٍ بأصواتٍ أعمق من نظيراتهن اليابانيات.

ويبدو ذلك مرتبطاً بصورٍ نمطية سائدة بشأن العلاقة بين الجنسين في ثقافاتٍ مختلفة في العالم. من قبيل تصوير هذه العلاقة على أنها مثلاً تتمحور حول استقلالية المرأة في مقابل ضعفها واعتمادها على الجنس الآخر. (وهو ضربٌ من التفاوت يتمثل كذلك في وجود فجوة أكبر في الأجور بين الرجال والنساء في اليابان).

لكن تشينغ تشير كذلك إلى أن التحولات التي تحدث في الطبقات الصوتية، ربما لا تشكل على الدوام ميزةً بالنسبة للنساء، حتى في دولٍ يشكل فيها التحدث بصوت أعمق في الوقت الراهن، أمراً شائعاً على نحوٍ أكبر.

وتقول الباحثة في هذا الشأن إنه قد يكون هناك تأثيرٌ غير مرغوب فيه أو مخطط له، ينجم عن لجوء النسوة للأصوات الأكثر انخفاضاً – ولغير ذلك من السلوكيات ذات السمت الآمر الحازم بوجهٍ عام – حتى وإن كانت تلك الأساليب تمثل بالنسبة للنساء وللرجال كذلك إشارةً على نحوٍ فعال إلى القوة والسلطة اللتين يحظى بهما هؤلاء وتأكيداً لذلك المعنى أيضاً.

ويتمحور هذا التأثير "في تقليص مدى إعجاب الآخرين" بالسيدات اللواتي يستخدمن تلك التكتيكات.

وتشير تشينغ في هذا السياق إلى دراسة تُظهر – على سبيل المثال – أن الصوت الأكثر عمقاً، يُعتبر أقل عذوبةٍ وجاذبيةٍ جنسية.

ومن هذا المنطلق، يمكن أن يُشكل ذلك مثالاً آخر على معضلة شعوريةٍ تواجهها النسوة في التواصل مع الآخرين في أماكن العمل، وتتمثل في تلقيهن ردود فعل متضاربةً ومتناقضةً بشأن الأمر نفسه ممن حولهن، أي أن يعتبر الآخرون صفات تتحلى بها الزميلات سماتٍ سلبيةً، رغم أنهم يغدقون الإشادةَ والثناء عليها إذا ما كان يتحلى بها الزملاء الرجال.ولا يتعين عليك هنا سوى تذكر النقاشات التي دارت في وسائل الإعلام حول المرشحة الديمقراطية لانتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة هيلاري كلينتون، والتي اعتبرتها هذه الوسائل إما "حادة" للغاية أو "غير عاطفية" إلى أقصى درجة.

فبالرغم من أن الحديث بصوت أكثر عمقاً، ربما يمثل إشارةً مسموعةً وذات طابعٍ صوتي، تفيد بإحراز صاحبه – أو صاحبته بالأحرى – لقدرٍ من التقدم، فإن من الواضح أنه لا يزال أمامنا شوطٌ طويلٌ لكي نقطعه، قبل أن نُجْهزْ تماماً على مظاهر الإجحاف والتحيز والأحكام المسبقة التي قد تحيط بذلك الأمر.

السياسي وخطابه المتناقض

بين عشيةٍ وضحاها أصبحتُ مولعاً بكافة الخطابات التي يتحدث بها السِّياسي العراقي وصارت لديَّ هواية في جمع كافة المتناقضات التي يتفوه بها السياسي العراقي في أي مناسبة يقولونها على الهواء أو من خلال اللقاءات الأعلامية في مناسبات عديدة لدرجة أنني بدأت أجمع التعليقات والكلمات ومقارنتها بتصريحات سابقة.

لا أعرف هل أبتسم أم أتأسَّى على هذا وذاك وبدأت لي الصورة ساخرة حتى النخاع.

لا أعرف هل أن السياسي ينسى مايقوله في مكان معين ويناقض ذاته في مكان آخر أم أن لديه سبباً معيناً تتحكم به ضرورات الساحة السياسية.

من بين المتناقضات التي قالها النائب مشعان الجبوري أقتطف بعضها " كلمني الدكتور جمال وكلمني الأخ محمد الكربولي بمحبة وكانوا رائعين.

قالوا لي نحن نرحب بك أن تكون معنا. وللأمانة أنا قلتُ لهم نعم " .

في مكان آخر يتهجم عليهما وكأنهما عدواه من الدرجة الأولى حيث يقول " ..

هذا الكربولي المتحدث الجديد..هم عائلة الكربولي والعائلة الفاسدة السارقة التي باعت العراق تفصيخ. وهؤلاء هم نهابة أموال العراق" .

في حديث آخر عن الدكتور العبادي يقول بكل صراحة " السيد حيدر العبادي لم يدعم هيئة النزاهه بقضية ضد الفاسدين بل هو يدافع عن الفاسدين ..السيد العبادي دخل في التحالف ومعه كبار الفاسدين " .

في مكان آخر يشيد بالعبادي ويؤكد فوزه لو نافسه في صلاح الدين وبين أهله في الشرقاط حيث يقول " ..

لو أن حيدر العبادي ينافسني في صلاح الدين وبين أهلي في الشرقاط سيفوز حتماً علي " تناقض عجيب . في حديث آخر عن الدكتور أياد علاوي يقول " ..

لازمين سره في شارع الزيتون لمقابلة أو لعدم مقابلة أياد علاوي " لكنه في تصريح آخر يقول " ..

هو لايقابل أحداً. هو لايقبل أن يقابل أعضاء في كتلته وهناك أعضاء في كتلته لم يشاهدوه منذ أربع سنوات " .

يتراجع ليمدح الدكتور علاوي حيث يقول " ..أؤكد لك أنه لازعيم في المرحلة المقبلة إلا أياد علاوي.."

يتراجع مرة أخرى ليصرح ويقول " ..لايمكن لأي أحد عاقل من الناخبين أن يفكر في إنتخاب شخص مريض نفسياً وعنده مرض في قواه العقلية " . يتراجع ويقول بقوة " ..

لديه القدرة على قيادة البلاد وإعادة الأعمار في المرحلة القادمة " . هل يمكن لسياسي أن يتباين في تصريحاته السياسية والشعب العراقي يراقبه بدقة من خلال وسائل الأعلام أم أنه ينسى تصريحاته الأولى ليفندها في التصريحات اللاحقة ؟

مجرد سؤال مطروح لكل من لديه إهتمام في القضايا السياسية.

ثامر مراد

بغداد

الدستور لمن ؟

كل شيء يحصل في العراق تجد له مبررً قد كتبه المستفيدون تحت إسم الدستور والذي من خلاله قد شرع للسياسيين قوانين تحمي امتيازاتهم.

وعندما يريد الشعب ان يشكوا من ضرر قد أصابه من السياسين أيضاً يرفع صوته بالقول نحن نطالب بحقوقنا كما شرع في الدستور، وعليكم الرجوع إلى الدستور الذي لم يعط هذا الحق لكم.

كما إذا حدث خلاف بين قادة الكتل السياسية أو الحكومات المحلية والمركز تجد قد حضر في مطلع كلام الطرفين أن الدستور يقول بالمادة كذا يحق لنا أن نكون هكذا، والمركز يرد لقد وردت المادة كذا في الدستور إنه لا يحق لكم هذا!

والشعب ينقسم إلى قسمين كل قسم يتبع من يحب او يتبعه لأنه صوت على الدستور الذي لم يقرأ حتى عنوان الغلاف الذي طبعت فيه مواده المختلف عليها الطرفان !

سؤال؟ كيف صوت غالبية الشعب على دستور جديد للبلاد وهم لم يقرأوا أسطر من قوانينه.!

سرعان ما وجدنا اليوم في الساحة الجماهير التي خرجت تطالب الحكومة في بحقوقها أيضاً تطلب ذلك كما شرع لهم الحق في الدستور.

والحكومة ترد بالمثل أن الدستور قد كفل لكم حرية التعبير والمطالبة بحقوقكم، لكن ضمن اجازة تمنحها لكم الحكومة يحدد فيها الزمان والمكان، وماهي المطالب التي تريدون أن تتوفر لكم أو الآراء التي تريدون إيصالها للحكومة، وهذا بعض ما كفله الدستور، يرد الشعب وبكل قوة وإصرار انا نطالب بأبسط مقومات الحياة.

ان يكون هناك ماء صالح للشرب والري وأن تتوفر الكهرباء وأن توفر درجات وظيفة للجميع، ولابد من توفير الحصة التموينية لكل عائلة، وأن يكون هناك علاج في المستشفيات الحكومية ويجب ان تبنى المؤسسات التعليمية الحكومية عكس ما يحصل الآن من إنشاء المشافي الخاصة التي تعود ملكيتها إلى رجال السياسة وأعضاء المجلسين البرلماني والمحلي، وايضاً هو حال التعليم فقد سارع اغلب أعضاء المجالس البلدية لإنشاء مدارس متكاملة قد شيدت على أرض الدولة وبيعت لهم بأسعار ضئيلة الثمن، وذلك أيضاً ضمن القانون الذي كتب في الدستور الجديد، شرع أن يكون للمستثمر حق الاستثمار في البلد ضمن سقف المصلحة العامة للبلاد، لكن الدستور لم يتوقع أن من ينشئ تلك الخدمات الصحية والتعليمية هم أنفسهم من كتبوا القوانين فيه!

يجب أولاً على الشعب تغير كل مواد الدستور وصياغة دستور جديد، بلجنة يشكلها الأكاديميون ورجال الاقتصاد والقانون والمثقفون ورجال الأعمال ورجال دين من كل الطوائف والقوميات وشيوخ العشائر الأصيلة ولجان جماهيرية تكون معهم في كتابة دستور يحدد مصير شعب بأكمله.

لا مصير حزب وقومية وطائفه دون أخرى، لكن شريطة تحقيق ذلك هو أن لا يكون هؤلاء من الذين دخلوا العملية السياسية إطلاقاً حتى يكون الدستور سالماً من المزايدات الدينية والسياسية والمصالح الفئوية ضمن دائرة ضيقة ليس لها هم سوى كيف الكسب لصالح احزابهم.

على كل عراقي غيور محب لوطنه أن يطالب بسلمية وحب واحترام حقوق الإنسان واحترام القانون الأخلاقي وان يراعي كل القيم السماوية وعدم المساس أو التحريض بإسقاط النظام ليس من مصلحة الوطن.

مالك رحيم

النجف

عواصم

الأيدي العاملة الدؤوب تحقّق طفرة إقتصادية

حمى السرعة تجتاح كل شيء في كوريا الجنوبية

لندن - مات كروفورد

أثناء زيارتي مطعم توباغي درايفر بمنطقة غوانك بالعاصمة الكورية الجنوبية سول خلال إحدى الأمسيات القريبة، عمدت لضبط حاسب السرعة خلسة أثناء طلبي للطعام. وبعد أن توارى النادل في هدوء عاد إلى الطاولة بما طلبت من عدة أطباق بعد دقيقتين و 20ثانية تحديدا، أتبعها بعد دقيقة ونصف بصحن الفخار من حسائي المفضل يتصاعد منه البخار كما خرج من النار توا!

والمدهش أن خدمة بهذه الكفاءة تتوافر في بلد ليس معهودا فيه تقديم البقشيش، والأكثر دهشة أن ذاك المطعم البسيط الذي يقصده سائقو الأجرة ليس معروفا بسرعته عن باقي المحال الأخرى.

والسرعة أمر معتاد في مختلف مناحي المجتمع الكوري الجنوبي، وبالأخص في العاصمة، ويطلق عليها السكان تعبير الـ"بالي-بالي"، وتعني "بسرعة" و"دون هوادة". تلك السرعة تنعكس بالتأكيد على سرعة الإنترنت القياسية على مستوى العالم في هذه البلاد، وعلى الدروس المكثفة لتعلم اللغة التي تعد بنتائج شبه فورية، وعلى خدمات المواعدة السريعة التي تنتشر هنا أيضا، وكذلك حفلات الزفاف السريعة التي تستضيفها قاعات فاخرة الواحدة تلو الأخرى خلال عطلة الأسبوع، ولا تمتد الحفلة لأكثر من ساعة.

والسرعة عنوان خدمة توصيل طلبات الطعام على متن دراجات نارية تتحدى الزمن وربما قوانين المرور أيضا، بينها أساطيل ماكدونالدز رائد الوجبات السريعة في العالم الذي أطلق فرقه من دراجات الطعام في كوريا الجنوبية بدءا من عام 2007.

وبالأمس لم تكن كوريا الجنوبية بهذه السرعة بل كانت بلدا ريفيا عاش 72في المئة من سكانه خارج الحضر عام 1960؟فكيف تحول هذا الشعب في بحر عقود قلائل من زراعة الأرز إلى تحميل الإنترنت فائق السرعة ؟

برنامج تطوعي

يذكر غاري ريكتر، الأمريكي الذي قدم إلى سول ضمن برنامج تطوعي لفيلق السلام للإعانة عام 1967قبل أن يتجنس لاحقا، كيف أدهشه ما رآه، قائلا: "قبل وصولي كنت أتصور الكوريين أناسا يعمدون إلى نمط الحياة الهادئ المتأمل، ولكني وجدتهم أكثر عجلة من الأمريكيين. كان الكوريون من كبار السن أبطأ سرعة، أما من في مثل سني – وكنت في الرابعة والعشرين حينها – فلم يكفوا عن الحركة هنا وهناك سعيا لتحسين حياتهم".

وفد ريكتر إلى البلاد في وقت شهدت تغيرا هائلا، ففي مطلع الستينيات أخذت كوريا الجنوبية تتبنى خططا خمسية متوالية في ظل رئاسة بارك تشونغ-هيي، وهي الخطط التي أديرت بانضباط بالغ وأعزي إليها الفضل في المعجزة الكورية الجنوبية التي أحالت كوريا الجنوبية من بلد دمره الحرب إلى طاقة اقتصادية جبارة شهدت بزوغ نجم شركات عملاقة مثل سامسونغ وهيونداي وإل جي.

ويعرض المتحف الوطني للتاريخ الكوري المعاصر بوسط العاصمة سول ثمار هذا التطور السريع، ومنه انطلقت جذوة النهضة بالبلاد، فقبل أن يصبح متحفا، كانت مبانيه تضم المجلس الأعلى للإعمار الوطني وهيئة التخطيط الاقتصادي.

واليوم يشهد الزائر بقاعة العرض للفترة ما بين عامي 1961و 1987مظاهر النمو المطرد. هنا رأيت شابين يحدقان في أول جهاز إلكتروني منزلي، وهو مذياعا من طراز إيه- 501صنع عام 1959؟وعلى مقربة منهما يطلع أب ولده على نموذج للسيارة هيونداي بوني الزرقاء القديمة التي خرجت للنور عام 1975.

والعجيب أن صادرات البلاد نمت خلال تلك الفترة بواقع ما بين 30و 40 في المئة كل عام؛ وبفضل التخطيط الاقتصادي الجريء والأيدي العاملة الدؤوبة حققت البلاد طفرة بدأت بتصدير خامي الحرير والحديد، ومن ثم صناعة المنسوجات والشعر المستعار، وسرعان ما تحولت البلاد لصناعة وتصدير المنتجات الإلكترونية الاستهلاكية الأعقد، فضلا عن ناقلات النفط وأشباه الموصلات الأساسية للصناعات الإلكترونية.يقول عالم الأنثروبولوجيا كيم تشونغ-صون إن أساس نجاح كوريا الجنوبية كاقتصاد مُصدِّر يرجع إلى السرعة، فـ"مفهوم ' البالي-بالي ' ليس نمطا حياتيا يوميا للكوريين فحسب، بل هو من القيم الأساسية للشخصية الكورية"، بحسب تعبيره في كتابه "العودة إلى كوريا".

ثقافة السرعة

ويضيف كيم قائلا: "بفضل ثقافة السرعة تمكن الكوريون (الجنوبيون) من إحراز تقدم اقتصادي هائل والتحول لبلد صناعي ضخم في برهة من الزمن".

ويعد طريق غيونغبو السريع الرمز الأبرز لهذا النجاح، إذ يمتد مسافة 428 كيلومترا باتجاه الجنوب الشرقي من سول إلى بوسان ثاني كبرى مدن البلاد. وكان من المفترض أن يستغرق ثلاثة أعوام ونصف العام قبل أن ينتهي العمل به بعد عامين وخمسة أشهر ليدشن عام 1968بفضل جهود ملايين العمال.

ولم تهدأ وتيرة العمل، منذ ذلك الحين، فمدينة سونغدو التجارية الدولية بنيت عن بكرة أبيها على أرض مستصلحة جنوب غربي سول بدءا من 2004؟ ودشنت المرحلة الأولى للمشروع الرائد لتشمل ساحات مفتوحة عملاقة ومركزا للمؤتمرات وفندق شيراتون وأبراجا سكنية بعد خمس سنوات من تاريخ البدء. والأكثر إبهارا والأسرع هو مدينة سيجونغ الإدارية التي تبعد 120 كيلومترا جنوب سول وشيدت من أولها إلى آخرها ما بين عامي 2010و2012.

ورغم أن كوريا الجنوبية تحوز كل الثناء لإنجازاتها، فهناك ما يرجح أن كوريا الشمالية لديها ذات الاستعداد، فزعيمها المؤسس كيم إيل-سونغ حث العمال أن يحذوا حذو الحصان الأسطوري المجنح "الكوليما" الذي يطير مئات الأميال في يوم واحد.

وجاء حفيده كيم جونغ-أون ليطلق شعار "الماليما" مضاعفا السرعة المتوقعة عشرة أمثالها. وقد أتى الشعار ببعض النتائج مثل تدشين أبراج سكنية نموذجية بشارع ريومونغ بالعاصمة بيونغيانغ عام 2017 بعد سنة واحدة من البدء فيه.

ولعل هذا يطرح سؤالا ما إذا كانت ثقافة الإنجاز تلك تعود إلى ما قبل الحقبة الحديثة في كوريا، ويقول عالم الأنثروبولوجيا كيم تشونغ-صون إن الأمر كذلك، مستشهدا بما شيد من آثار قبل موعدها، من بينها قلعة هواسيونغ بمدينة سوون؛ ذاك الصرح الضخم المشمول ضمن قائمة اليونسكو للتراث العالمي والذي تم الانتهاء منه عام 1796 قبل موعده بسبع سنوات ومازال قائما يشهد على عظمة بنائه.

كذلك يتفكر المرء ما إذا كانت الخزفيات الخضراء البديعة لأسرة غوريو (918-1392)شكلتها أيدي الفخاري القديم بذات دقة وكفاءة العامل الكوري صاحب المنتجات عالية الجودة اليوم.

فن متقن

وفي القرن السادس عشر أنتج الكوريون فنا متقنا رفيعا، منهم الخطاط هان سيوك-بونغ الذي أبدع الخط الصيني بأشكال شتى منها الخط المُرسَل لأسطر شعرية كاملة دون أن يرفع حبره عن الكتابة ما تطلب سرعة ودقة تامة.

ورغم أن قلة من الكوريين يتقنون فنون الخط الرفيع اليوم، فإنهم يعوضون ذلك بمهارتهم في الكتابة بالإبهام على شاشات المحمول! وقد فاز الفريق الكوري بمسابقة إل جي موبايل العالمية للأسرع كتابة للرسائل النصية في نيويورك عام 2010.كذلك ليس من قبيل الصدفة تفوق الكوريين في رياضات الرماية الأولمبية المعتمدة على السرعة، وكذلك كانوا الأفضل في مباريات التزلج السريع قصير المضمار، إذ حصدوا حتى وقتنا 48ميدالية أولمبية إجمالا.

ولكن بعض المعلقين خارج كوريا ربما بالغوا في إبراز تلك السرعة، حتى أن كو سي-وونغ الناشر بموقع Korea Ex-posé الإعلامي المستقل يقول إن الأمر أصبح "أشبه بتصوير ساخر للثقافة الكورية".

وبينما يهتم كثير من الكوريين بالتهام شرائح المعجنات الكورية على عجل وتحرص الشركات على إيصال الأغراض المطلوبة بأقصى سرعة، فمنهم من هجر حياة الصخب كعديد من الشخصيات الكورية المعروفة التي انتقلت للعيش بجزيرة جيجو جنوبي البلاد. ومن هؤلاء المغنية الشهيرة لي هيوري وزوجها لي سانغ- سون اللذان تبنيا حياة الريف كما عرضها التلفزيون ببرنامج "في صحبة هيوري" مصورا مشاهد من واقعهما اليومي.

ولا أحد يعرف حتى متى تستمر هذه الرغبة في العودة للطبيعة حتى بالنسبة لهؤلاء، فما يروج في المجتمع الكوري قد يخفت بين برهة وأخرى، فأحيانا تختفي توجهات وتظهر أخرى في هذا البلد بذات السرعة.

في عام 1960 كان أكثر من 70 في المئة من سكان كوريا الجنوبية يعيشون حياة ريفية

في 2017 أطلقت مطاعم ماكدونالدز فرق دراجات بخارية لتوصيل طلبات الطعام لينافس المطاعم الكورية الجنوبية الأخرى.